الذات و الهوية في رواية " الرواية المستحيلة " لغـادة السمَّـان*

طالبة دكتوراه : فيروز زوزو
قسم الآداب اللغة والعربية
كلية الآداب و اللغات
جامعة بسكرة- (الجزائر)

ملخـــص:

يهدف هذا المقال إلى استنطاق الذات المبدعة ، و دراسة الكيفية التي تتناول بها قضية الهوية في خطابها الروائي .

بين السيرة الذاتية و الرواية ،تقدم الكاتبة العربية " غادة السمَّان " رواية تماثل الحياة الكاملة ، حياة روائية خصبة بالشخصيات التي يحاول بعضها جاهدا أن يسلك درب التمرد للخلاص من سجن القدرية الاجتماعية (الهوية الجمعية) إلى فضاء الحرية الفردية (الهوية الذاتية) .

*الكلمات المفتاحية : - الذات – الهوية – الخطاب الروائي –الجماعة–أدب معاصر.

ABSTARCT:

This article aims to ask the creative self, and study how it treats identity's issue in its novelist discourse.

Between biography and novel, the Arab writer "Ghada Samman" presents a similar novel to the perfect life, a novelist's life which is full of characters, some of them try so hard to follow the path of rebellion for salvation from social fatalism prison (collective identity) to the space of personal freedom (individual identity).

*The keywords : The Self,The Identity, The Novelist discourse, The Group, Contemporary literature.

" الذات تبحث عن هويتها على مستوى حياة بكاملها "

– بول ريكور -

مقدمة :

لقد ارتبطت الرواية منذ نشأتها بالعلاقة الجدلية القائمة بين الذات و العالم حيث كانت هذه العلاقة تعكس حالة الأزمة التي تعيشها الذات في هذا العالم . ، و تبين الطريق الذي تحاول جاهدة أن تسلكه لتخرج من سجن القدرية الاجتماعية إلى فضاء الحرية الفردية . حين تقرر الذات المبدعة الكتابة هل تتساءل عن القالب الأدبي الذي سيحوي اعترافاتها ؟ إنها فقط تعلن بداية العزلة الفنية حتى تطمئن تلك الروح لبدء البوح .

من هذا المنطلق، سنتعرف على العقد الجديد (منتصف القرن العشرين) الذي حلَّ على مدينة دمشق ، عقد حاولت فيه البنت الشامية شق طريقها نحو تحقيق ذاتها بالعلم و العمل لتُشكِّل هويتها الخاصة .المبدعة كذات لم تحاول هويتها الفردية كسر الثابت و فقط ، إنها حاولت أن تجد لها طريقا مختلفا تماما لتسلكه . تمردت لتربط إبداعها الفردي بالتاريخ الإنساني . يتضَّح ذلك جليا من المغايرة التي تتسم بها هوية المبدعة داخل المجتمع الدمشقي المحافظ و من ثمة في صراعها مع حفريات هذا الواقع الصَّلد .

بين السيرة الذاتية و الرواية، تقدم الكاتبة العربية" غادة السمَّان" روايتها المستحيلة : فسيفساء دمشقية " . رواية تماثل الحياة الكاملة ، حياة روائية خصبة بالشخصيات منها الواقعية التاريخية و السياسية و أخرى خيالية تحسبها حقيقية من صدق مرجعيتها الواقعية .لقد حاولت الكاتبة تجاوز الزمن الراهن لتقدم للقارئ العربي فيضا من غيض أربعينيات و خمسينيات مدينة دمشق التي عاشت فيها طفولتها و جزء من شبابها .

سنعمد في هذا المقال إلى تقديم قراءة تحليلية لرواية " الرواية المستحيلة " مطَّعمة بالتصور القائم على فكرة اجتماعية الإبداع للتمكن من الإحاطة بالعلاقة الكامنة بين الذات و المجتمع ، البنية و المرجع عبر الإجابة على الأسئلة التالية :

- هل هوية الإنسان جزء لا يتجزأ من هوية الكل أم هو فرد مستقل و له هوية ذاتية ؟
- ما هي خصوصيات الهوية التي تقدمها الذات عبر السرد ؟

و لنؤكد على بعدين أساسيين هما :

1- تحديد مكونات البناء السردي للخطاب الروائي .

2- إقامة علاقة ربط بين هوية الذات و هوية المجتمع وفق منظور قيم الطاعة و التمرد

1- الذات و الهوية و رحلة التكون الاصطلاحي :

1-1- تحديد مفهوم الذات :

يتسم الحديث عن الذات دوما بأنه كلام فلسفي لكن الحقيقة أن :" الذات تتحدد دوما ، و في كل زمان و مكان بالآخر ، آخرها ، بل هي الوحدة الديالكتيكية بين الأنا و الآخرو تستمد مقوماتها من تعينها الواقعي في التاريخ الذي هو دائما تاريخ التغير و التحول، و الذي هو دائما توقع الممكنات . "1 و لأن السرد هو أحد تعابير الذات مع نفسها و عن العالم المحيط كونه : " ' حكاية الذات المروية بلغة فلسفية '، و صورة انفهامها أمام النص و شكل من أشكال انعكاسها و استرجاعها في مرآة اللغة . "2، سنقدم أولا جزءا من رحلة تكون مصطلح الذات معرفيا .

يعرف علماء النفس الذات بأنها كينونة الفرد أو هي آراء الشخص عن نفسه، كما يرون أن كل فرد يعاني عادة من مشكلتين أساسيتين يحاول دائما إيجاد حلول لها، هما :

1- كيف يجب أن يتعامل مع ذاته .

2- كيف يجب أن يتعامل مع البيئة و المجتمع الذي يعيش فيه .

و عليه فإن دراسة مفهوم الذات تعد عاملا مهمًا لمعرفة كيفية توجيه سلوك الفرد مع نفسه و مع الآخرين ، حيث أن الطريقة التي تُدرك بها الذات هي التي تحدد نوعية الشخصية، و كيفية تصرفها إزاء المواقف: " إن القدرة على تكوين مفهوم للذات، حسب رأي لفينجر، تزداد بزيادة السن و الذكاء و التعليم و المستوى الاجتماعي-الاقتصادي."3

أكد علماء النفس أن مفهوم الذات يأتي من التوافق الذي يحسه الشخص أي كيف يدرك الشخص ذاته، و ما يشعر به من الاتزان و السعادة، و هو ذلك الرضا، و السِلم و انخفاض مستوى القلق، و إنتاج الأفكار الجديدة، و القدرة على تقليل الصراع الداخلي، و الثقة ، و كلما كان الإحساس الداخلي مرتفعا في تقدير الذات و فهمها كان سبب تحقيق

التوافق متوفرا ، و عليه تتحقق هوية الأنا .

أدبيا، إذا كانت الحياة حقًا كما يقول **" نيتشه "** نص أدبي كبير و كل شخص هو مؤلف النص و بطله في ذات الوقت ، فالذات المبدعة إذن هي ذاك الشخص الإشكالي ، و يسمى أدبيا : **" البطل الإشكالي "** . إنه إنسان يعيش مشكلة مع نفسه ، و مع العالم الخارجي . سبب إشكاليته هو أن الجسر الذي يربطه بالعالم أصبح ذو خصوصية **مادية بحتة** . هذا الأمر جعل علاقته بهذا العالم تتقطع و الطابع الأخلاقي لها يزول بعد التخلي عن المبادئ و جعل العلاقة بالله مستحيلة . يتجسَّد هذا الصراع الداخلي و الخارجي للإنسان في الرواية كما في الواقع حيث يقوم السرد بتعرية ذاك العالم الذي طغت فيه المادة على الروح، و هجره الله .

1-2- ماهية الهوية :

حين:" أطلق "وليم جيمس" أشهر تعريف للذات و هو : "إحساس الفرد بالهوية". 4 فهذا يعني أن الشعور بالذات هو المصدر الأساسي للهوية : " و قد وصف "اريكسون" ثماني مراحل لنمو الهوية هي :

1- الثقة مقابل الشك و الريبة .

2- الاستقلالية مقابل الخجل والشك .

3- المبادرة مقابل الشعور بالذنب .

4- المثابرة و الإنجاز مقابل الشعور بالنقص .

5- تحديد الهوية مقابل غموضها .

6- الألفة و التماسك مقابل الانغلاق الذاتي و الركود .

7- تكامل الأنا مقابل اليأس و القنوط. "5

تحدد **الهوية الفردية** من خلال معطيات عدة مثل : **العقيدة، اللغة، الثقافة، تاريخه الشخصي** . و كذلك تحدد من خلال: **شكل الشخص، اسمه ، صفاته، جنسيته، عمره، و تاريخ ميلاده**. كل هذه التفاصيل تدل مختصرة على ميزات أساسية في الفرد تجعله مختلفا عن الهويات الأخرى و متميزا عنها .

أما **الهوية الجمعية** فيمكن القول إجمالا أن التحديد الدينامي لها هو أنها مجموعة مقومات جغرافية تاريخية اجتماعية أنثروبولوجية تراكمت عبر الزمن مثل : **الثقافة ، الدين ، اللغة ، الأصول العرقية ، البيئة ، العادات ، التقاليد ، الأعراف ،التراث ،نظام القيم،**....الخ هذه العناصر مع تنوعها تحمل صفة **الاستدامة** نسبيا و هو ما لا يمنع دخول عناصر أخرى كمفردات جديدة لماهية الهوية مما يجعلها تتخطى حالة الثبات إلى **الحركية** .

2- مستويات تشكل الذات و الهوية في رواية " الرواية المستحيلة " لغادة السمّان :

2-1- ملخص الرواية :

" الرواية المستحيلة " هي الرواية الوحيدة التي كان فضاؤها مدينة دمشق العتيقة ، حيث اعتمدت المؤلفة على الذاكرة لنسج خيوط الرواية . انقسمت الرواية إلى فصل واحد بخمس محاولات في كل محاولة يتم استحضار الذكريات لسرد الرواية . نهضت المحاولة الأولى على سرد حكاية الشخصية " زين " و هي في مرحلة الطفولة ، مرحلة حملت تفاصيل كثيرة عن الحياة الاجتماعية للمجتمع الدمشقي المحافظ مختزَّلة في عائلة آل الخيال و جيران الحارة المسيحيين منهم و المسلمين . تموت "هند" بعد ولادة متعسرة ، " هند " أم البطلة " زين " و زوجة "أمجد الخيال" المحامي الحاصل على الشهادة العليا في الحقوق من جامعة باريس (تعرف عليها باعتبارها موكلته و هي المعلمة الثرية القادمة من مدينة اللاذقية حيث دافع عن حقها في ميراث أبيها الذي يريد ابن عمها الاستيلاء عليه) . يموت التوأم بعد وفاة هند بساعات لتقدم المؤلفة صورة صارخة على التفكير المتخلف للمجتمع الشرقي حين يطالب المرأة بإنجاب الذكر و كيف أن هذا المجتمع لا يبالي بأن تقدم المرأة حياتها ثمنا لمجيئه .

من هنا تبدأ قصة البطلة " زين " ذات الخمس سنوات يتيمة الأم و التي تعيش مع أبيها في البيت الكبير في حارة زقاق الياسمين. الكل يحاول تربيتها على طريقته بدءا من العمة بوران و العم عبد الفتاح ، و الجدة " الحاجة حياة " أو " أم أمجد "كما تحب أن ينادونها . تقدم المؤلفة صورة عن المرأة المغلوبة على أمرها بسبب إنجابها للإناث (زوجة عبد الفتاح " فلك ") ، و نموذج عن المرأة المتعلمة المتمردة المستقلة ماديا نتيجة عملها كمدَّرِسة

(شخصية " فيحاء " التي أصرت " هند " على تعليمها و وافقت العائلة على مضض بعد موافقة أمجد الخيال على ذلك) . اتسمت شخصية " زين " بالعناد و المشاكسة لذا واجهت اضطهادا طفوليا مارسه أبناء العم الذكور (دريد و لؤي) ضدها . تمتعت " زين " دوما بمساندة والدها لها (لإحساسه الدائم بأنه هو المسؤول عن حرمانها من أمها الذي أراد أن تنجب له الذكر رغم علمه بمرضها مما يجعل أمر ولادة ثانية شيء في غاية الخطورة على حياتها) مما جعلها تزداد إصرارا للتفوق في الدراسة و تعلم السباحة
(الرياضة المحظورة على البنات في ذاك الوقت) بسرعة فائقة .

بعد قدوم الخال " أبو عامر" و أسرته من فلسطين بسبب تهجيرهم من منازلهم بعد نكبة **1948** ، يصبح البيت مكتظا فيضطر أمجد الخيال للانتقال إلى الشقة الجديدة التي اشترتها" هند " بساحة النجمة و رفض سابقا السكن فيها . ترصد المؤلفة من خلال معاناة أسرة أبي عامر نكبة فلسطين و تبعاتها على الشعب الفلسطيني و على الدول العربية المجاورة، و من خلال لقاءات أصدقاء أمجد الخيال و أحاديثهم نتعرف على شكل الاضطرابات السياسية التي حصلت بسوريا (الانقلابات العسكرية المتتالية) . و أيضا الظروف الاقتصادية القاسية التي يعيشها الشعب السوري مما يجعل البعض يبيع الضمير ليشتري خبزا يسد به الرمق أو سكن نظيف يأويه كما حدث مع شخصية " مرعي "
و الصحفي" معتز"، و " ريمون " الذي اتفق مع صاحب المدبغة ضد العمال على رمي الفضلات الكيماوية في نهر بردى لكن عاد إلى رشده بعد إنقاذه لطفل سقط في نهر البردى.

تبدأ " زين " مرحلة المراهقة في ساحة النجمة و ذلك في المحاولة الثانية للمؤلفة لكتابة الفصل الأول فتتعرف البطلة على صديقات جديدات . تقدم المؤلفة تفاصيل دقيقة عن تلك المرحلة لجيل الخمسينيات كرغبة الفتيان في لفت أنظار الفتيات عبر النظراتو الرسائل و انتظار الفتيان للبنات أمام مدارسهن و سماع أغاني الروك اند رول ، و هو أمر غير مألوف في البيئة الشامية المحافظة .

عندما تبلغ " زين " سن السادسة عشرة تتملكها رغبة ملحة لمعرفة المزيد عن أمها التي يحظر ذكرها في حضورها ، فتدخل إلى غرفة الأب خلسة و تفتح الصندوق العتيق فتجد

رسائل أمها ، و مذكراتها ، و رواية كتبتها و لم تتمكن من نشرها بسبب الأعراف الاجتماعية الصارمة في زمنها معنوَّنة بـ: " المرأة الجديدة " ، و صور قديمة لها أمها . تسعد " زين " بأشياء أمها و بالرواية و تقرر الاشتراك بها في مسابقة الرواية التي تنظمها جريدة "النقاد" بمساعدة من " فيحاء " . تفوز الرواية بالمرتبة الأولى محققة حلم أمها الذي تأخر مدة خمس عشرة عاما . تقرر " زين " دراسة الأدب في الجامعة بدل الطب .

أخيرا ، و أثناء تمرن البطلة على ركوب الطائرة الشراعية يصاب المدرب بضيق في الصدر ، فتتولى هي قيادة الطائرة و رغم خوفها تتمكن من التحكم بالمقود و تنزل الطائرة سليمة على مدرج المطار. نزلت " زين " إلى أرض المطار و هي أكثر ثقة بنفسها بعد قدرتها على التصرف بحكمة كالبومة و أكثر إصرارا على التحليق عاليا بحرية كطائر النسر " شعار سوريا " .

2-2- الذات و الهوية عبر مسار الحكي :

تعد الشخصية من المكونات السردية الأساسية التي يقوم عليها فعل الحكي ، فالعلاقة وثيقة بين الأحداث و الشخصيات في النص الروائي . تطورت الشخصية من الصورة النمطية و كفت عن أن تكون مفعولا بها إلى الصورة الدينامية و أصبحت فاعلا فكما تحولت الملحمة إلى الرواية تحول أيضا البطل من الملحمي المتحَّد مصيره بمصير الأمة إلى الشخصية الإشكالية السائرة ضد تيار الواقع الاجتماعي .

قسَّم الناقد " تودوروف " الشخصيات حسب **الوظيفة** التي تؤديها إلى : - شخصية عميقة – شخصية مسطَّحة – شخصية هامشية . أما حسب **حركة الشخوص** و وجودها الفيزيائي فقسَّمها إلى : " –**الشخصيات الثابتة** : و هي شخوص لا تتغير و لا تتطور . –**الشخصيات الدينامية :** و هي شخوص يتفاعلون مع الأحداث و يتطورون تبعا لها ."6 و تبعا لهذا المنظور ، سيتم تحليل شخصيات الرواية لتبيين حركتها و مدى تطورها عبر مسار الحكي و تفاعلها مع الأحداث .

2-2-1- الذات عينها على الهوية الفردية :

" الراوية المستحيلة " رواية متميزة ، ناضجة في عناصرها . و هذا رغم قربها الشديد

من السيرة الذاتية للذات المبدعة فلم تقم الرواية على دعامة الذاتية برغم الخصوصية المكثَّفة عبر مسار الحكي . الرواية تدور حكايتها حول قصة فتاة تقوم ببناء ذاتها و تكوين هويتها بفطرة العصافير و حكمة البوم . إن مسار الرواية فيه تماثل كبير بين المسيرة الحياتية للذات المبدعة و سيرة هذه البنت الدمشقية الشقية . سيرة عنوانها الرئيس : التمرد ، مطَّعمة برغبة " زين " في التفوق من خلال إتقان اللغتين الفرنسية و الإنكليزية . إنها تحقق لذاتها استقلاليتها عندما قامت بنشر كتاباتها باسمها الحقيقي ،و عندما حملت راية التحدي ضد أبناء العم الذكور (لؤي ، عدي). أما علاقتها بوالدها فجد مختلفة حيث تنشأ بينهما صداقة قوية اعتز بها الأب كثيرا فكان يأخذها معه إلى نزهاته و اجتماعاته العلمية و حتى الندوات التي يحضرها بل يجلب لها أحيانا الكتب الجديدة لتطالعها،و لا يقسو عليها حين تعارضه في الرأي .

كان تفكير أي امرأة في تلك الفترة يدور حول نفس مواضيع أمها و جدتها لكن جيل الخمسينيات بمدينة دمشق أمر مختلف . و يحدث التصادم بين الشخصيات مثل : " فيحاء "و"زين" مع رموز المجتمع المحافظ فيثرن ضد قيم الجماعة و هو ما اعتبر مؤشر على التمرد و التحرر .

- جدول رقم :01

* أمثلة عن المقاطع السردية المعبِّرة عن **الشخصية الإيجابية** التي سارت عبر درب التمرد وضد قيم الطاعة للجماعة :

الشخصية الروائية	المقطع السردي
فيحاء : ابنة آل الخيال . تولت تربيتها هند فأصرَّت على أن تكمل دراستها و قبلت العائلة عن مضض بعد موافقة أمجد الخيال . أصبحت في كبرها تعبر عن صوت الحداثة و تطمح إلى تغيير وضع المرأة البائس . صريحة . مستقلة برأيها لاستقلالها المادي عن العائلة حيث تعمل مدرِّسة . اختارت زوجها بنفسها.	-<< مضت فيحاء أخيرا كعاصفة مرت بالبيت و قد اصطحبت معها زين . قالت بوران : لم أعد أحب أن أرى فيحاء كثيرا في هذا البيت . إنها " فلتانة و دايرة " . هل لاحظت يا أختي أنها ترتدي ثوبا بكمين قصيرين حتى الكوعين ؟ ! (...) الحاجة التي كانت تراقب كل شيء صامتة هي و أختها أم عامر قالت بالرغم من أن فيحاء لا تقبِّل يدها كما تقتضي الأصول : فيحاء ذكية و متعلمة و الدنيا تتغير ، و صحيح إن زمان أول تحول .>>7 - << لم تدع فيحاء بوران تفسد لها جو المباسطة مع ماوية و تابعت همسًا في أذن هذه الأخيرة : كان عليك ترك زوجك من زمان بدَّل هدر عشرة أعوام من عمرك .. فلا تهدري المزيد و عودي الآن إلى الدراسة .. أو اعملي مزينة و اكسبي مالا ،أم تراك تنتظرين عريسا آخر يضربك ؟ أم تنتظرين أن يكبر هاني لـ"تبركي " عنده و عند كنتك؟ -لا أريد غير السترة . جاء الآن دور ابنتي أمية لتتزوج . صارت صبية.. بعد أعوام تصير عروسا . -حرام عليكي..اتركيها تتعلم ..الزواج بطيخة مغلقة لا أحد يعرف ما بداخلها .. العلم مفيد دائما.. .>>8

زين: ابنة أمجد و هند . طفلة عنيدة . ذكية . تتقن اللغة الفرنسية و الانكليزية . غريبة الأطوار لكن شُجاعة . تحب الكتب و السباحة و كل حيوانات الطبيعة خاصة البومة و كذا الطيران بكل حرية كالنسر.	- << أنظري عاليا ، هذا الذي يطير و يحلق نسر.. إنه رمز بلدك سورية .>>9 - << تهمس عجوز : إنها مناكدة كصبي . و لكن يا للخسارة ، فلو كانت زين صبيا لما ماتت أمها . تؤيدها أخرى : صحيح !.>>10 -<< تأملها ، تلك الطفلة التي كان يرفض أن يراها لأنها ليست زين العابدين . استولت على قلبه و قطفت عشقه القديم كله لأمها هند . نحيلة و لكن صلبة أكثر مما يبدو عليها ، عنيدة و قوية ، و أقل هشاشة مما يتوهمون جميعا ، و تخفي داخل خجلها و صمتها طفلة أخرى يحب أن ينفرد بها كما في إجازتها الأولى .>>11 -<< تفوح رائحة الياسمين في فضاء الطائرة . يخيل إليها أن الحقيقة الوحيدة التي تعرفها هي أنها تريد البقاء على قيد الحياة . بيسر و حبور تستخرج زين جناحيها و تستحيل نورسا أبيض محلّقة إلى جانب البومة و النسر . تسمع صوتا نائيا يقول : " يا الفصعونة العصعوصة تقصيرة الجن النص نصيص ، كيف تهبط بالطائرة على المدرج على حافة الارتطام . و تعود فجأة بنتا لا نورسا ، ستحتفل بعد أشهر بعيد ميلادها السابع عشر دونما غصات (...) حين غادرت زين الطائرة ، شعرت للمرة الأولى بأن الأرض صلبة تحت قدميها و الفضاء أقل عدوانية تحت جناحيها .>>12

2-2-2- الذات المبدعة و رحلة البحث عن الهوية :

الذات حين قدمت إبداعها عبر السرد كانت عينها ليست على نشر إيديولوجيتها و أفكارها بل عينها على هويتها ، على بناء هويتها الذاتية بتجاوز الهوية الجمعية إلى هوية أكثر انفتاحا على العالم ، الآخر المختلف عنها . الذات المبدعة كانت عينها على هويتها فقدمت هذه الهوية من خلال رؤيتها السردية الخاصة بها . لقد أنهكت رحلة البحث الذات المبدعة تماما كما أنهكت البطل الروائي فكانت النهاية سؤالا كبيرا لا جواب له : " و بقدر ما يشير الفرد الإشكالي إلى علاقة داخلية في الرواية ، هو شخصيتها الأساسية غالبا ، فإنه يشير أيضا إلى الأديب المبدع ، الذي نقل الحياة اليومية إلى حيز الكتابة كما لو كان الوعي الإشكالي يوحد بشكل متكافئ ، بين " البطل الإشكالي " و المبدع ."13

تماهي المؤلف الواقعي مع الشخصية الروائية لدرجة تطابق هويتهما مشكلة تواجه الباحث ، و هو يكون عادة لما تتم عملية السرد بواسطة ضمير المتكلم فيختلط حابل الذات المبدعة بنابل الشخصية الروائية حتى لنكاد نعتقد جازمين أننا أمام سيرة ذاتية كون ضمير " أنا " يؤكد لا ينفي حقيقة العلاقة القائمة بين الكاتب و الشخصية . يلحظ هذا التشظي في"الرواية المستحيلة" و ربما لهذا السبب بالذات عنونتها الكاتبة الرواية بالرواية المستحيلة لإحساس خفي راودها هو عدم قدرتها رغم احترافها بأن تفصل السيرة الذاتية لها عن العمل الفني الذي تنسجه رغم أن النص فنيا هو رواية مكتملة إبداعيا .

تمظهَرت الكاتبة كذات تبحث عن هويتها عبر شخصيات عديدة . كان أبرز قناع شخصية " زين " فبدت ذات متمردة ، مغتربة بالمكان ، عاشقة عبر الزمان ، معترفة دون خوف بكل الأخطاء التي اقترفتها دون خجل ، تعترف و لا تبالي بأن تقِر بهذا الإثم :" ها أنا **للمرة الأولى في حياتي أسطِّر مذكراتي بضمير المتكلم ، و أتحدث عن نفسي ... و لا أكتب شيئا نصفه خيال و نصفه حقيقة ، و لا أخاف أن يعرف أحد أنني أتحدث عن نفسي و لا أخاف من كوني أقترف ذلك..."14**

لقد جاءت الرواية بعد مشوار طويل من الكتابة الإبداعية ، برغم أنها تعايش زمنا مضى (الطفولة و المراهقة) . هذا الأمر أبان على حرفية الكاتبة من خلال النضج الفني

الواضح في الكتابة الروائية بل و منحها حرية أكثر في التقول دون تحفظ ، لذا لا يمكن الجزم بالقول أنها سيرة ذاتية روائية بقدر ما هي هم اجتماعي فرضَّ نفسه في عالم التخييل .

سيتم الاستعانة بالشخصية " زين " للقبض على الإشارات الدالة على هوية الذات المبدعة و ذلك لأسباب عديدة منها :

1- تماهي صوت الكاتبة مع صوت الشخصية " زين " عبر صفحات النص الروائي .

2- وجود التماثل بين تفاصيل حياتية للشخصية زين و حياة الكاتبة مثل: - وفاة الأم و هي صغيرة – العلاقة المتميزة بين الطفلة و والدها – المجتمع الرافض لتصرفاتها حتى الطفولية منها . – رغبتها في أن تصبح كاتبة مثل أمها – إتقان اللغة الفرنسية و الإنكليزية– عشق السباحة ضد التيار - عمل الأم بالتدريس ووو .....و غيرها من التفاصيل المشتركة .

-جدول رقم : 02

* أمثلة عن المقاطع السردية المعبِّرة عن **الذات المبدعة الطامحة لبناء هويتها الفردية حسب أفكارها الخاصة و المتجلِّي عبر تعابيـر الســرد:**

الذات المبدعـة	المقطع الســردي
الكاتبة : امرأة مثقفة . متمردة . عنيدة . تعشق الحرية . منفتحة على العالم . تساند في كتاباتها المواطن العربي الذي قهرته الحروب و التقاليد الموروثة البالية.	-<< هكذا هي ، دائما لا تفسر و لا تبالي كثيرا بما يقال عنها (لقد كبرت في زقاق شعاره مقولة" ماذا يقول عنا الناس " اللامرئية المعلقة على جدران أعماق الناس ، (...) ، **أنا شخصيا لا أبالي بما يقال و لا أحب أن أفسر و لا أن أشكو لأحد أحزاني.>>15** - << جاء والدها يتفقدها و سألها ضاحكا : ماذا تكتبين ؟ - قصة لمجلة المدرسة ... - ما اسمها ؟ - لا أدري بعد ...

	- منذ متى و أنت تكتبين القصص؟ - من زمان ..إنني أكتب أحلامي و كوابيسي .. - حسنا أكتبي لمجلة المدرسة كهواية ، و لا تدعيها تحول بينك و بين دراسة الطب .. أريدك طبيبة حين تكبرين . (...) من أين جاءتك فكرة أن تكتبي قصة للمجلة ؟ - من "معلمة خانم " . **قالت إنني قد أصير كاتبة** .>>16 - << لا تعرف زين سر تلك المتعة الموجعة التي تستولي عليها و هي **تسبح** في النهر كاوي البرودة ، **ضد التيار** الذاهب إلى المصبَّات مستسلما لمجراه .(...) ، و هي في غمرة جموحها إلى المستحيل لا تلاحظ جراحها إلا حين تغادر الماء و تؤنبها جدتها على **عنادها العبثي** .>>17 -<<**أريد أن أتلقى الأوامر من قلبي** لا من رؤساء الحزب . ثم إنه لدي حاجة دائمة لنقاش والدي و جدتي و معلمتي و أية سلطة تستمد حضورها من حق مكتسب أو مقدَّس أو مكرَّس أو مفروض .>>18 -<< وقفت زين في دكان تأجير الكتب في عرنوس و صارت تقلب ما لدى صاحبه العجوز من **كتب عتيقة مصفرة بلذة حقيقية** .>>19 -<< قال أمجد لابنته : أغمضي عينيك و تنفسي جيدا .. دعي الهواء النقي يدخل مساماتك حتى روحك .. تنفسي سوريا .. تنفسي رائحة بلدك . >>20

*خاتمة :

أرادت الكاتبة من خلال روايتها أن تؤكد أن كل مفهوم هو نتاج سياق اجتماعي تاريخي ثقافي لكن ذلك لا يمنع انفتاحه على باقي المنظومة المعرفية الإنسانية الكبرى.
تكمن خصوصية التجربة الإبداعية عند الكاتبة " غادة السمَّان " في وعيها العميق لذاتها و للعالم الذي يحيط بها ، و أن قضية الهوية تعالج ضمن إطار العلاقة القائمة بين الأناو الآخر من خلال طبيعتها الجدلية الخصبة المنتجة لوحدة الأضداد المثمرة دوما .

إن فاعلية الهوية الوطنية توجب ضرورة توافر حوار حضاري يجمع بين الذات و الجماعة كهويات مغايرة تفاديا لأي تفاعل سلبي يؤكد الأزمة ، و لا يعين الحراك الثقافي لتجاوز مأزق الإيديولوجيات المتعددة التي قد تتناحر لمجرد وجود سمة الاختلاف .

الهوامش والمراجع والمصادر

1- باني بوعلي ، بول ريكور و الفلسفة ، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات الضفاف، بيروت ، لبنان ، ط1، 2014 ، الصفحة : 26 .

2- المرجع نفسه ، الصفحة : 71 .

3 - غازي صالح محمود ، شيماء عبد مطر ، مفهوم الذات ، المجتمع العربي للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، د.ط، 2011، الصفحة : 13 .

4 - غازي صالح محمود ، شيماء عبد مطر ، مفهوم الذات ، الصفحة : 20 .

11 – بوسنة عبد الوافي زهير، علم النفس النمو و نظريات الشخصية، منشورات مخبر التطبيقات النفسية و التربوية ، قسنطينة ، الجزائر ، د.ط ، 2012 ، الصفحة : 96 .

10- آمال منصور ، بنية الخطاب الروائي في أدب محمد جبريل ، دار الإسلام للطباعة و النشر، الشرقية ، مصر ، د.ط ، 2006 ، الصفحة : 79 .

7- غادة السمَّان ، الرواية المستحيلة ، الصفحة : 275 .

8- المصدر نفسه ، الصفحة : 72 .

9- المصدر نفسه ، الصفحة : 73 .

10- المصدر نفسه ، الصفحة : 95 .

11- المصدر نفسه ، الصفحة : 210 .

12- المصدر نفسه ، الصفحة : 500 .

17- فيصل درَّاج ، نظرية الرواية و الرواية العربية،المركز الثقافي العربي،بيروت،لبنان، ط1 ، 1999، الصفحة : 44 .

14- غادة السمَّان ، الرواية المستحيلة ، الصفحة : 487 .

15- المصدر نفسه ، الصفحة : 396 .

16- المصدر نفسه ، الصفحة : 249، 250 .

17- المصدر نفسه ، الصفحة : 212.

18- المصدر نفسه ، الصفحة : 424 .

19- المصدر نفسه ، الصفحة : 431 .

20- المصدر نفسه ، الصفحة : 161 .